



لا يجد وليد المعلم أي حرج على الإطلاق في الحديث عن الاتصالات التي تجري بين نظامه، وبين الأميركيان في سياق من التنسيق في مواجهة الإرهاب، بينما لا يجد نصر الله والإعلام الإيراني، ورموز السياسة الإيرانية أدنى حرج في تكرار ذات الهراء عن علاقة «التكفيريين» بالأميركي والإسرائيلي.

من جانب آخر، يحتفي شبيحة طائفيون، وحزبيون ومنتسبون لتيارات قومية ويسارية بالاتصالات الجديدة مع أميركا، وبالحديث عن تسوية تبقى بشار في السلطة، مستندين إلى معطيات من هنا وهناك، ومتجاهلين ما صدّعوا به رؤوسنا سابقاً عن المؤامرة الأميركيّة الصهيونية على نظام المقاومة العتيد.

لا صلة لمنطق هؤلاء بالأخلاق، وقد قلنا منذ الشهور الأولى للثورة إن قضية سوريا قضية أخلاقية قبل أن تكون سياسية، والشعب السوري لم يستشر أحداً حين أطلق ثورة إصلاحية سلمية محاكاة للربيع العربي، فرد عليه النظام بالقتل والتمذير والتعذيب.

هنا، وبصرف النظر عن الموقف السابق من النظام، وبصرف النظر أيضاً عن سؤال الهزيمة والانتصار، وقد قلنا ذلك أيضاً في حينه، ولم نخطئ في التحليل، ولم نعوّل على حسم عسكري سريع، بل قلنا إنها أفغانستان جديدة.. بصرف النظر عن ذلك كلّه، فنحن نقف مع الشعب ضد طاغية فاسد، ولو حرر القدس، فضلاً عن أن يكون متصالحاً مع العدو، ويحمي حدوده، وحتى لو كانت له بعض المواقف الجيدة التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الحفاظ على المصالح أكثر من كونها مواقف مبدئية. من يعرفون الأخلاق لا يتزدرون هنا، فالشعب لم يستشر أحداً، وهو كان جاهزاً للقبول بإصلاحات جدية، لكن من اختار العسكرية هو النظام، وما زال العقلاً يتذكرون مقوله نائب بشار، فاروق الشرع التي كلفته إقامة جبرية إلى الآن، وخلاصتها أن النظام كان طوال ستة أشهر يستجدي رصاصه واحدة من أجل أن يتهم الثورة بالإرهاب.

الآن، قد يكون بإمكان البعض أن يقول إن هذه الخطة قد نجحت، وإن تهمة الإرهاب قد أُسقطت بالثورة بالفعل عبر جماعات جهادية كان بعض عناصرها في السجون، وأطلقوا كي يذهبوا في هذا الاتجاه، من دون أن يعني ذلك رفضاً لما فعلوا في مواجهة طاغية قاتل.

لعل الفضيحة الكبرى في سياق المشهد السوري على وجه التحديد، وقد قلنا ذلك مراراً، ونعيد تكراره، لأجل أن نصفع وجوهاً لا تعرف المبادئ ولا الأخلاق، بما فيها تلك الشعارات التي ترفعها كل يوم، وتمارس على إيقاعها اللطم والعويل.. الفضيحة الكبرى هي فضيحة الذين يرفعون شعار الحسين، بينما يقاتلون مع يزيد، وينسون أن الحسين وقف ضد طاغية كان يقاتل أعداء الأمة، لكن الضمير الجمعي للأمة عبر التاريخ ظل منحازاً إلى الحسين ضد يزيد، ولم يقل إن ما فعله الحسين كان مؤامرة.

قد يرى البعض أننا نعزي أنفسنا بهذا الكلام، وهو قول يستحق الازدراء، لأننا في النهاية لسنا تجارة، ولن نندم على موقفنا، ولو تمكّن النظام وحلفه الإيراني من تحقيق النصر المؤزر على الثورة، فكيف وهو لا يتحكم سوى بثلث مساحة البلد، ويتفهقر هنا وهنا، حتى لوحظي ببعض الإنجازات في المناطق التي يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من حزامه الطائفي؟

إنها قضية أخلاقية مرة أخرى، ونحن كنا وسنبقى مع المبادئ والأخلاق، ووقفنا ضد بشار لم يكن بسبب طائفته وحسب، فقد وقفنا ضد القذافي وسائر الطغاة. وإذا كان تحالف إيران قد باع حكاية المقاومة في سوريا، وضحك من خلالها على عقول كليلة، وضمائر عليلة، فقد جاءت جريمته في اليمن لتفصحه تماماً على رؤوس الأشهاد حين وقف مع أقلية اعتدت على ثورة شعب بالتعاون مع الطاغية الذي ثار الشعب ضده.

التاريخ حاضر هنا، وكما بقي الحسين هو الحسين، ويزيد هو يزيد، سيبقى هؤلاء هم فاقدي القيم والضمير، وسيبقى الشعب السوري ومن وقفوا بجانبه هم أهل الحق إلى يوم الدين، أيا تكون نتيجة المواجهة، مع قناعتنا بأن سوريا لن تعود إلى ما كانت عليه الحال من الأحوال.

العرب القطرية

المصادر: